

## «أبو خليل القباني سيرة حياة وفن»

# أحرق مسرحه فبقي خالداً.. وبيته صار قصراً ومعلماً رحلة مسرحية مليئة بالإبداع والتميز رغم كل الصعوبات

جمان بركات

قبل ظهور رائد المسرح العربي والسوري أحمد أبو خليل القباني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عرفت المدن السورية فن خيال الظل الذي وصل إلى بلادنا من الشرق الأقصى كما تشير بعض الوثائق، وكان يتكون من بعض الدمى التي تتحرك على منصة خشبية بسيطة ويقود العرض شخص يسمى المخايل يقوم بتغيير صوته حسب الشخصيات والحوار، وكانت شخصيات كراكون وعبواظ هما الشخصيتان الأشهر في عروض خيال الظل، وكانت ترافق هذه العروض جوقة موسيقية صغيرة مؤلفة من ثلاثة عازفين.

وفي الحديث عن أبو خليل القباني أقامت مديرية المسارح والموسيقا أمسية غنائية من ألحان أبو خليل القباني رائد المسرح الغنائي العربي بقيادة نزيه أسعد بمشاركة فرقة أمية للفنون الشعبية على مسرح الحمراء، وندوة بعنوان «أبو خليل القباني سيرة حياة وفن» على مسرح القباني.

### المرحلة الدمشقية

ولد القباني في العام ١٨٣٣ وأقن صغيراً أكثر من لغة أجنبية، أبرزها التركية وهو الأمر الذي ساعده فيما بعد عندما نهل مواضيع بعض أعماله المسرحية من الآداب المترجمة، تحت عنوان «القباني والمرحلة السورية» تحدث الكاتب والنقاد المسرحي الأستاذ جوان جان الأستاذ جوان جان: ويمكن اعتبار العام ١٨٧٠ عام الانطلاقة الحقيقية للحركة المسرحية في سورية عندما فكر القباني بتحويل شخصيات مسرح الخيال التي يؤديها ممثل واحد بأصوات مختلفة إلى شخصيات من لحم ودم يؤديها عدة ممثلين، فعرض الفكرة على أصدقائه المقربين الذين شجعوه وتعهدوا بمساعدته، وكان الخيار كتابة أعمال تستند موضوعاتها من التاريخ العربي والحكايات التراثية المليئة بالحكم والعبر الأمر الذي يعني أن القباني كان واعياً ومدركاً منذ البداية للذووع والتعوي والتثوير والأخلاقي الذي يمكن لفن المسرح أن يلعبه في حياة الناس وتطوير المجتمعات، كما كان مدركاً أن مزج هذه الحكايات المليئة بالمواظ بشيء من الغناء والرقص كان فعالاً بتقريبها من جميع الأذواق، فكان المؤسس الأول للمسرح الغنائي العربي.

بالتوازي مع ذلك كانت هناك فرقة مسرحية فرنسية تقدم عروضها في إحدى مدارس دمشق وكان القباني يتابع عروضها باهتمام، الأمر الذي ساعده على تكوين صورة واضحة عن ماهية العرض المسرحي وعناصره من أزياء ومكياج وغناء وديكور.

بدأت رحلة القباني المسرحية الإبداعية في أحياء دمشق ومقاهيها عندما راح يتردد على هذه المقاهي ويتابع عروض خيال الظل فتأثر بها وبقيت تفاصيلها في ذاكرته، ولما لاحظ ميول القباني جلية في اهتماماته طرده والده من المنزل بضغط من بعض الشخصيات الدينية، علماً أن القباني كان من محظية القرآن الكريم. وفي مرحلة لاحقة شكل القباني تجمعاً فنياً درامياً موسيقياً مؤلفاً من أصدقائه، وبعضهم من المنشدين المعروفين، وفي العام ١٨٧١ أكمل إنجاز أول عروضه المسرحية «ناكر الجميل» وكان ذلك بطلب وتشجيع من الوالي صبحي باشا، كما لقي القباني رعاية مسرحه وفته في فترة لاحقة من الوالي مدحت باشا، وقد انعكس هذا الدعم إيجابياً على مسيرته المسرحية قبل أن تنتهي هذه الفترة القصيرة على طولها من الدعم والرعاية التي أتت تتويجاً لسعي القباني نحو إرساء مسرح ذي فكر تثويري من جهة، وإصرار الوالي مدحت باشا على بث روح جديدة في الحياة الاجتماعية الدمشقية في تفاصيلها اليومية من جهة أخرى، وقد سارع مدحت باشا إلى الطلب من القباني تشكيل فرقة مسرحية تقدم أعمالاً ذات طابع اجتماعي تربوي، وقد خصص مدحت باشا للفرقة مبلغاً مالياً جيداً كان فعالاً بالتهوؤ بعمل الفرقة منذ بداياتها، فكان العمل المسرحي المتميز الذي قدمته الفرقة



«الأمير محمود نجل شاه العجم» التي نالت إعجاب الوالي. ومن المسرحيات المهمة التي قدمها القباني أيضاً مسرحية بعنوان «وضاح» قيل إنه أنجزها في ثلاثة أيام وتم تقديمها في كازينو الطليان في منطقة باب الجابية، وقد تنقل القباني في عروضه المسرحية في أحياء دمشق القديمة ما بين كازينو الطليان وخان الصرّونيه وخان الجمرح. وقد ورد في كتاب الموسيقى الشرقية للفنان المصري كامل الخلعي الفقرة التالية التي تصف حال العروض المسرحية التي كان يقدمها القباني وجمهور هذه العروض: «كان مسرحه مورداً عذباً يؤمه الكبراء والأمرء والشعراء والأدباء لمشاهدة رواياته وجلبها من منشأته لما جمع بين جزالة الأنفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها، أرهقت نواحيها بالتهذيب وطُرزت حواشيها بكل فكر غريب.. شهد بحسنها الكثير من أئمة البلاغة ومتقني صناعة الصياغة.. واعتمد القباني في مصادر النصوص المسرحية التي كتبها على حكايات الكتاب الشهير «ألف ليلة وليلة» وعلى أشعار الشعراء القدامى مثل البحري وقيس بن الملوح وعنترة بن شداد وعلى كتب الأدب المختلفة مثل «اللطائف والطرائف» و«مقامات الحريري» و«وفيات الأعيان». كما اعتمد القباني في أعماله المسرحية على شخصيات الحكام والأمرء والوزراء، وعلى موضوعات الحب بشكل أساسي، ويقوم بنفسه بمهام الكتابة والإخراج والتثيل والتلحين والغناء وتصميم المنظر والملابس، وأصدر القباني بيانين مسرحيين حول فن التمثيل وظيفته الاجتماعية الأمر الذي يعكس وعيه لدور المسرح في الحياة العامة.



### المرحلة المصرية

يعتقد البعض أن شخصية أبو خليل القباني تحدث عنها الكثير وأخذ حقه، لكن في معابرها الفنية هي دروس حقيقية لكل العاملين في المسرح لغاية اليوم، وبدوره تحدث د. تامر العريبد عن الفترة المهمة للقباني في القاهرة:

في الحقيقة هذه الفترة فيها من المواقف والمعابير والتحولات الفنية في مشروع القباني المسرحي، وبدأت منذ وجوده في دمشق حيث كانت أخبار القباني تصل إلى القاهرة، وأثناء تواجده في دمشق تعرف على المطرب المصري عبد الحامولي، وقدم عرضاً له بالانتقال إلى القاهرة ليتوسع بمشروعه أكثر وفي مصر من ينظر مثل هذا المشروع، وفي مرحلة الاكتئاب والعزلة عن المجتمع واحترق المسرح في دمشق كانت الأمور مواتية بوجود قناعاً بأن مشروعه يجب أن يكمله، وقرر السفر إلى مصر من خلال مراسلة صديق له يسكن في الإسكندرية هو حلابو المحمصي سعد الدين أو سعد الله حلابو. السفرة الأولى التي خطاها القباني إلى مصر كانت إلى الإسكندرية عام ١٨٨٤ وبدأ فيها العمل على كيفية إنشاء مسرح وعاد إلى دمشق وأحضر فرقة على سفينة، وقوبل وصول الفرقة بالكثير من الاهتمام والترحاب إلى درجة أن غلقت صحيفة الأهرام المصرية قديم الفرقة وافتتاح العرض الأول الذي كان بعنوان «أنيس الجليس»، وخلال فترة أربعة أشهر قدم الكثير من العروض، وبدأت الأخبار عنه تنتشر وأثبت حضوره في الإسكندرية،

## «المنحوتة الصغيرة» ممتدة في سورية منذ آلاف السنين

# مصطفى علي لـ«الوطن»: المعروض ظاهرة لإبداعات أكثر من جيل.. بمواد مميزة وتتمتع بالديمومة

سوسن صيداوي

من الحضارة الإنسانية وامتداداً لجزرها الوالغ في عصب التاريخ، أنت الإنا منحوتات عبر مبدعها عن أفكارهم ورؤياهم، وبقيت لنا إرثاً عريقاً يدل على جمالية فكر متنوع وغني رغم بساطة الإمكانات والقدرات في ذلك اليوم. ومن تلك الأزمان إلى أيامنا هذه بقيت المنحوتة الصغيرة تعبر عما يجول في الدواخل لمبدعيها الذين يعملون اليوم بشكل جذي عبر تنوع الخامات لتكون منحوتاتهم إرثاً لأجيال قادمة وتلاصص العصرنة، وتثبت بأن الحركة الفنية التشكيلية السورية معافاة رغم كل الحصارات وغلاء الأسعار ومحدودية الإمكانيات. ومنه سنتحدث اليوم عن معرض (المنحوتة الصغيرة) في غاليري مصطفى علي بدمشق، بمشاركة كل من الفنانين: إحسان العر، روبا كنج، علاء إبراهيم، لطفي الرحمن، هيثم مليشو، هلا الجاري، جميل قاشا، رفق علوم، عمار خزام، محمود شاهين، مهياري علي، وائل دهان، حسين ديب، سمير رحمة، غازي عانا، محمد ميرا، وضاح سلامة، نرجس عبد اللطيف، حسام نصر، عبد العزيز ندوح، فؤاد ندوح، مصطفى علي، نهي العلي، يامن يوسف.

### امتداد الجذر التاريخي للمنحوتة

احتضن غاليري مصطفى علي نحو ثمان وأربعين منحوتة، تسعى لتقديم إبداعها وطرحه ضمن مساحات للآراء والمناقشات مع دعوة للاقتناء لمنحوتات صغيرة، هي كانت موجودة في سورية منذ القدم، واليوم المعرض يدل على همة المبدعين من الشباب والمخضرمين في المقدره على تقديم الأجل من المنحوتات الصغيرة، وحول معرض (المنحوتة الصغيرة) حدثنا نخاتنا السوري الطارق أبواب العالمية مصطفى علي قائلاً: «تجربة النحت أصبحت ظاهرة في سورية المعاصرة، بداياتها كانت صعبة جداً بالستينات والخمسينات، ولكن اليوم هذه الظاهرة تركزت عبر تقديم التجارب المتنوعة والتي تعود إلى عدة أجيال، مما ميزها بالأفكار والأساليب والتقنيات والمواد الخادمة والتي يعمل عليها النحات واليوم في معرضنا (المنحوتة الصغيرة) نحن أمام



ظاهرة لإبداعات أكثر من جيل، نخاتون مخضرمون، ونحاتون شباب، ونحاتون أكثر شباباً، وفي الحقيقة كل المنحوتات متميزة والكل على راية بما يقدم وما الرؤية المتجسدة في منحوتته المقدمة، بالإضافة إلى المواد المميزة والتي هي بذات الوقت تتمتع بقدرتها على الديمومة في السنوات». مضيفاً: «إن المعرض ضم نحو ثمان وأربعين منحوتة تعود إلى عشرين نحائاً، والذين قدموا أعمالاً بين الواحدة إلى ثلاث قطع وحاولنا أن تكون الأحجام صغيرة ومتفاوتة بحجم الصغر، فهذا المعرض يؤكد على استمرارية المنحوتة الصغيرة في سورية والتي عمرها أكثر من ثلاثة آلاف سنة والتي تراها في المتاحف وكانت تستخدم في تزيين البيوت أو لأغراض جمالية، ونحن من معرضنا نعطى شعوراً بالامتداد التاريخي لهذه المنحوتات الصغيرة وبالجزر التاريخي لها.»

### اجتهاد على المادة والتشكيل

أن يصوغ النحات أفكاره ويطووع الحجر أو المعدن فإن هذا الأمر في غاية الصعوبة، والأصعب أن تصل أفكاره ورؤياه البينا، ومن هنا يكون قد تجاوز الحدود محققاً الغاية،



النحات غازي عانا يحدثنا عن مشاركته من خلال منحوتتين، واحدة لجسد المرأة العربي والأخرى لطيرين من الحمام، وبالطبع هو يجيد النحت التجريدي ويقول: «أنا أحتج نحتاً تجريدياً ويطعنني متجه في تجربتي هذه نحو الواقعية والتبسيط، كي أكون قريباً أكثر للجمهور، فالتجريد لا يجيد قراءته للجميع، فهكذا أكون مفهوماً وقريباً بإفكارتي عبر منحوتاتي، وفي إحدى المنحوتتين اشتغلت بمعدن الألمنيوم عتقته، والتجربة الثانية بالبرونز وأتمنى أن أكون حققت الغاية». وأصبت رضى الجمهور..

وعن أهمية هذا معارض في نشر الوعي وتطويرة محلياً والتأكيد على مقدره مبدعياً من النحاتين الذين تقدموا هذه الغاية بأعمالهم أشار: «هذا المعرض يجيب عن السؤال المطروح من قبلكم، ففي معرض (المنحوتة الصغيرة) يشارك نحو جيلين من الشباب، مع جيل يفوقهم عمراً وخبرة من النحاتين المخضرمين، وأنا أرى أن الشباب يعملون على تجارب تقنية مبدعة من خلال عملهم على الخامات وتجريبها، وربما يعود السبب كون النحات أصبح يبحث عن المواد الأقل تكلفة، فنال البرونز غالي الثمن وكذلك



الحجر والأخير يحتاج إلى مساحة كبيرة وهذه الأمر يتطلب من النحات أن يمتلك محترفاً. لهذه الأسباب أخذ النحاتون يبحثون عن مواد متنوعة وبالتالي جاءت أعمالهم فيها اجتهاد كبير على المادة والتشكيل، وأختم بأن هذه النوعية من المعارض تخلق حالة جميلة من التناغم والحوار الفكري باللاوعي بين ما تقدمه جميعاً.»

### ما بين الاستطاع والمتفرد

تقدمت بالبساطة وقدمت نفسها عبر منحوتات منقردة بالعنصر والمادة الخام التي اشتغلت النحاتة رفق علوم عليها لتنتال إعجاب أساتذتها وتقدير الجمهور، حيث تعمل على المادة الخام وتطووعها في منمعة طفل يعيث ويكتشف ما هو جديد مع طموح أن تقدم أعمالاً تتال فيها الإعجاب بالاختلاف والتميز، وعن تجربتها في المعرض تحدثنا النحاتة علوم: «بدأت في منحوتاتي بالعمل على عنصر (الديك) وأحب أن أطور قليلاً، لهذا أدخلت عليه عنصر (الإنسان) في نوع من (المكس ميديا)، فأحببت أن أبعد عن التقليدية وأنجبه بخيالاتي نحو ما أرغب في التعبير عنه. الأقدام من المعجون وقمت بنحتها، والجسم قمت



بتبليسه بالفقاش والغراء اللاصق، هذه المواد محببة إلى قلبي كونها بسيطة جداً وفعوية ويمكن تطويعها بالشكل الذي نريده». وعن سؤالنا عن أهمية التبسيط والاتجاه بالتنوع وتقديم ما هو مختلف كي نتماشى مع الغرب في إبداعه، أجابت: «بالتأكيد أنا أحب النحت بكل أنواعه وأنواعه، وأحب كل المواد الخام التي تدخل فيه سواء البرونز أم الحجر، ولكن نحن بحاجة لتنوع ذاكرتنا البصرية بما هو مختلف وتمييز عما هو سائد ورائج، وهذا ما أطمح إليه من خلال ما أقدمه، وكما أحب أن أشير إلى المتعة الكبيرة التي تراقفني أثناء تنفيذ أعمالِي وبالراحة التي تعمري وعدم الخوف من المادة الخام وخصوصاً ما نواجهه من منحنها المرتفع، فهذه الأسباب كلها تدفعني إلى السعي والطوح في البحث عما هو باستطاع لنا والمتفرد للجمهور.»

### لم تخرج من بصمتها

ضيق الوقت الشديد دفع النحاتة روبا كنج هذه المرة كي تستعين بصديق ولتقدم لنا الأجل بما يزيد الغشاوة عن عيوننا من قولية ما هو محيط بنا من برمجيات والكترونيات ووسائل تواصل اجتماعي، كي تعبر بالأنوثة

المعتادة عن وجود ما ينسلخ عنا بالفكر أو الشعور، لتنتج بالحديث النحاتة كنج: «الأنتى هي نفسها ولكنني حاولت أن أقدم أسراً مختلفاً بالشخصية من حيث الغشاوة التي توضع على العين من قبل التكنولوجيا والمحيط، ولكن دائماً هناك المحاولة بأن تخرج الأنتى منها، وعن الأسود والأبيض فأنا هنا أتحدث عن التقيض الموجود فبنا وبكل ما حولنا، وعما ينسلخ من مشاعر وأحاسيس، وبالطبع تجربتي في تطور دائم وعلي أن أبحث عما هو جديد ضمن إطار بصمتي وشخصيتي وما يبليه علي طموحي وحبّي للنحت.. وتابعت بأنها ربما لن تتابع بهذا نوعية من الأعمال ولكنها رغبت في معرفة رد فعل الجمهور عما تقدمه من جديد شارحة عن طبيعة المواد المستخدمة: «وعن المواد هناك (البوليستر) و(الريزين) والمادة تخرج بلونها هذا من القالب، وهذه المرة لم أجد صعوبة بالعمل على المادة بعكس المعرض السابق حيث استخدمت ورق الجرائد والغراء اللاصق، وكوني استعنت بصديق هون علي لمواجهة ضيق الوقت الذي قيّدنا قليلاً، وفي النهاية أرجو أن أكون قد وفقت فيما قدمته، واليوم المعرض هو فكرة جميلة وفيها من الإغناء والحوار بين التجارب ما يدفعنا دائماً نحو تقديم الأفضل كوننا نستفيد من بعضها بشكل دائم.»

### شريك الطبيعة

في حين أخبرتنا النحات يامن يوسف بأنه يبوي الخامة التي بين يديه ويحاول أن يعنى جوانب منها على طبيعتها وعلى حالها، وعن مشاركة حدثنا: «الجميل في هذا المعرض بأنه جمعنا مع عدد كبير من النحاتين ومنهم أساتذتنا في الكلية، وأيضاً احتوى على تجارب قديمة ومنها الجديد، أنا شاركت بعلمين من خاتمين مختلفين، والعاملان هما استمرار لنفس الخط الذي أعمل عليه في الأسلوب التعبيري، فقدمنا من الخشب والأخر من الحجر، وأحب أن أضيف بأنني أحاول دائماً أن أستفيد من الخامة الموجودة، بحيث أترك منها أجزاء على طبيعتها وأعمل على جوانب أخرى، وأعدنا بالشكل المناسب من دون أن أغير من طبيعتها الأساس، وهذا لأنني أحاول أن أكون شريكاً مع الطبيعة في بناء العمل الفني.»